الطبيعة الصامتة في شعر عمرو بن شأس الأسدي

د.عبدالفتاح إسماعيل عبدالله أحمد*

ملخص الدراسة:

يسعى البحث إلى دراسة مفردات الطبيعة الصامتة في شعر عمرو بن شأس الأسدي، ودورها في تشكيل معمارية النص الشعري، وما تؤديه إلى جانب ذلك من دورٍ دلالي أو إيحائي وفقًا للسياقات الشعرية المتعددة الأغراض التي ترد فيها، وما لذلك من انعكاسٍ على شخصية الشاعر، ونفسيته في تجسيد أحاسيسه ومشاعره، وأفكاره؛ لتنكشف له وللمتلقي رؤى جديدة ما كانت لتنكشف لو اكتفى الشاعر بنقلها كما هي في الواقع، واستخدم الباحث في بيان ذلك المنهج الوصفي بإجراءاته التحليلية. وقد خلص البحث إلى بيان تعلُّق الشاعر وصلته الوثيقة بالبيئة الطبيعية التي عاش فيها، واستقى منها معجمه الشعري فاحتلت المفردات الطبيعية الصامتة دورًا بنيويًّا في النص الشعري، فكانت ذا فاعلية عالية في الوصول بالنص إلى أقصى طاقات التعبير؛ وذلك بتعدد دلالاتها وفقًا للسياق الذي وردت فيه، ورسمه بها صورًا فنية واصفة لكل ما كانت تقع عليه عيناه في حياته أو أحس به، فعقد علاقة مشابهة بين تلك المفردات الطبيعية وبين ما يريد البوح به للمتلقي؛ ليزداد خبرةً عن واقع الشاعر وبيئته الطبيعية، ويثير فيه أيضًا الإحساس بجمال الوصف وروعة الموصوف.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة الصامتة، الشعر، الصحراء، النبات، عمرو بن شأس الأسدي.

* أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية في الحديدة، جامعة الحديدة-اليمن.

الايميل: Alqwate.2009@hotmail.com

Abstract:

The research seeks to study the quiet nature vocabulary in the poetry of Amr Ibn Shaas Al-Asdi with their role in formation the architecture of the poetic rhyme. Beside that, this study highlights the semantic or suggestive role of those vocabulary which they play according to the multi-purpose poetic contexts in which they are contained. Furthermore, it studies poetry's reflection on the personality and psyche of the poet through embodying his emotions, feelings, and thoughts. Consequently, new visions would be revealed whether to the poet or to the reader, that would not have been revealed if the poet was just content to convey them as they are in reality. Therefore, the researcher used in explaining that the descriptive approach with its analytical procedures.

Last but not least, the research concluded with the statement of the poet's interest and his close connection with the natural environment in which he lived, and where he derived his poetic lexicon. This is why the quiet natural vocabulary occupying a structural role in the poetic rhyme. Accordingly, the vocabulary had highly effective in which could make the text reaching to its summit in potential expression. Moreover, it can be found that the poet made equivalent relationship between that natural vocabulary and what he wanted to reveal for his reader by connotations multiplicity of his vocabulary according to the context in which they were mentioned. The poet has portrayed them through artistic figures describing everything that whether his eyes were on through his life or he felt in. For that, the reader's experience about poet's nature and his surrounded environment has increased, as well as the reader's sensation for the charm of description and the magnificence of the described thing, has also evokd.

Key Words: Quiet Nature, Poetry, Desert, Plant, Amr Bin Shaas Al-Asdi**.**

المقدمة:

الأدب نتاج الفكر والحس الإنساني، وكلّ ما في الحياة من موجودات صامتة وحيَّة تعدُّ مادةً أدبيّة خصبة تترك آثارها على طبيعة الإنسان عامةً، وعلى لغة الأديب أو الشاعر خاصةً في تصويره الواقع وأشياء الطبيعة والتعبير عنها بلغة فنِّيَّة ذات خصائص جمالية يبدعها الشاعر، وينسجها من خيوط رُؤاه للواقع والحياة، "فالشعر بخاصةٍ عبارة عن ظاهرة جمالية، تنتج عن انفعال الإنسان بالبيئة الطبيعية وبالوجود من حوله"[1]، ثم إن صياغة الألفاظ، وحسن تأليفها، وجمال المعاني المتشكلة في البنية النصية تنبع من جمال البيئة، ومواضع الكلأ، والنبات الغض، ولا يخيم به في الموضع إلا ريثما يصوح كلأه، ويغيض ماؤه، فإن الطباع الناشئة أيضًا على هذه الحال، وإن لم تكن في الأقاليم المعتدلة، جارية مجرى تلك في سداد الخاطر، والتنبه لما يحسن في هيئات الألفاظ المؤلفة والمعاني، وما لا يحسن[2]، ولذا فإن الطبيعة بشقيها الصامتة والحيّة قد كانت مذكيةً لشاعرية العرب ولأفكارهم، ومرتعًا خصبا لخيالاتهم، فهي منبع إلهام الشاعر وإبداعه في تصوير الواقع والحياة بأسلوبٍ شعري جذّابٍ مصبوغ بجملة من الأفكار والمشاعر، وبصور فنية موازية لحياته والبيئة والمجتمع.

والمتتبع للشعر العربي يجد أنه لا يكاد يخلو شعر شاعرٍ من وصف مظاهر الطبيعة بتجلياتها المختلفة، ولذا فإن ثمّة دراسات نقدية كثيرة تناولت مظاهر الطبيعة بالنقد والتحليل؛ لإظهار الخصوصية التي تفرّد بها كلُّ شاعر عن الآخر في التعبير والوصف والتصوير لتلك المظاهر وتجلياتها المختلفة. وعليه فإن أهمية هذا البحث تكمن في تناوله الطبيعة الصامتة في شعر عمرو بن شأس الأسدي؛ ليبيّن مقدرة الشاعر في تصويرها، وتوظيف مفرداتها في تشكيل بنية الخطاب الشعري وجمالياته الفنية. وفضلًا عن ذلك فإني لم أجد فيما اطلعتُ عليه من دراسات وأبحاث علمية عنوانًا انفرد بدراسة الطبيعة الصامتة أو حتى الحيّة (المتحركة) في شعر عمرو بن شأس الأسدي على الرغم من وجود دراسات نقدية تناولت شعر الشاعر عامةً[3].

---

(1) درابسة، محمود محمد. أثر البيئة الطبيعية في الشعر عند النقاد العرب القدماء، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السنة الثامنة، العدد: العاشر، 1415هـ: 139

(2) ينظر: القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: الحبيب ابن الخوجة، د.ن، د.ط، تونس، 1966م: 40، 41

(3) تلك الدراسات هي: بحث بعنوان: "شعر عمرو بن شأس الأسدي- دراسة موضوعية فنية"، أحمد حسين عبدالحليم سعفان، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 15، 1994م، ص ص 299- 372. ودراسة بعنوان: "عمرو بن شأس الأسدي- دراسة موضوعية فنية" للباحث: جبار شمخي دعيم الظاهري، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 2004م. ودراسة بعنوان: "التشكيل الجمالي في شعر عمرو بن

أولًا: التعريف بالشاعر :

هو عَمْرُو بْنُ شَاسِ بْنِ أَبِي بَلِيٍّ عُبَيْدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]. وقد أجمعت الروايات على صحة نسبه ولم تختلف فيه. غير أنه اختلف في اسم جده الثالث (رُوَيْبَةَ): فقد ورد بالهمز:(رُؤَيْبَةَ) في معجم الصحابة للبغدادي[2]، وورد (وبرة) في معجم الشعراء[3]، وورد (ذويبة) في طبقات فحول الشعراء[4]، وورد (ذؤيبة) في أنساب الأشراف للبلاذري[5]، وفي الأغاني، وفي تاريخ دمشق[6].

لقبه: الأسدي، ولم يُعرف له لقبٌ آخر غير هذا اللقب الذي اشتهر به.

كنيته: يُكنّى بأبي عرار، ولم تذكر المصادر له كنية أخرى غير هذه الكنية. أما كنية زوجته أم

شأس الأسدي". للباحثة: حنين عز الدين إسحاق كحيل، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2015م. بحث بعنوان: شعر عمرو بن شأس الأسدي، دراسة في الأغراض الشعرية. حازم فاضل محمد العبودي، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، العراق، السنة: 5، العدد: 10، 2014م. ص ص 324- 361

(1) ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ: 193، والقرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ: 263/3. والتبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2000م:1/ 208. وابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ: 227/4، والعسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ :112/5، والزركلي: خير الدين بن محمود. الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م:79/5، والأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي، جمع وتحقيق: د.يحيى الجبوري، دار القلم، ط2، 1403هـ: 8، والجاسم، أحمد موسى. شعر بني أسد في الجاهلية-دراسة فنية، دار الكنوز الأدبية، ط1، بيروت، لبنان، 1995م:131

(2) ينظر: البغدادي، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع. معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، المدينة المنورة، 1418هـ: 201/2

(3) ينظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران. معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1402هـ: 212

(4) ينظر: الجمحي: محمد بن سلّام. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المدني،د.ط، جدة، د.ت: 190/1

(5) ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1417هـ: 182/11

(6) ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، 1415هـ: 160/40

حسان فلعلها كنية خاصة بها، إذ لم تذكر المصادر أن لعمرو بن شأس ابنًا اسمه (حسان) من زوجته حيّة بنت الحارث بن سعد التي ذكرها في شعره بكنيتها أمّ حسان.

أبوه شأسٌ: كان سيّدًا مطاعًا في قومه بني أسد، ومن أهل المشورة والرأي السديد في نظرته للأمور، وقد كان شاعرًا، وفارسًا قوي الشكيمة، له حروب ووقائع ضد بني عامر[1].

أُمه: لم يجد الباحث ذكرًا لها في المصادر التي ترجمت للشاعر، ولم يشر إليها الشاعر من قريبٍ أو بعيد في شعره.

أبناؤه: له من الأبناء عرارٌ، وشوكة، وهما أخوة من جهة الأب فقط، فقد كان عرارٌ من أمة سوداء، لم نعثر على اسمها في المصادر التي اطّلعنا عليها، وقد كان فصيح اللسان، شريفًا، وذا مكانة بين قومه، وكان أبوه يحبه ويؤثره، حتى أنه عُرفَ بالكوفة بفصاحته ورجاحة عقله وحلمه. وأما شوكة فأُمُّها هي حيّة بنت الحارث بن سعد، وكنيتها: أم حسان، وهي من رهطه، فقد كان عمرو يحبّها ويؤثرها، إلّا إنها كانت تبغض ابنه عرارًا، لسواد بشرته، فكانت تعيّره به، وتؤذي عرارًا، وتشتمه ويشتمها، فجهد عمرو أن يصلح ما بين ابنه وبين امرأته فلم يمكنه ذلك، فطلقها، ثم ندم، ولام نفسه[2]، وفي ذلك يقول[3]:

أَرَادَتْ عِـــرَارًا بِـــالهَوَانِ وَمَـــنْ يـــرِدْ عِـــرَارًا لَعَمْـــرِي بـــالهَوَانِ فَقَـــدْ ظَلَـــمْ

فـــإنَّ عِـــرارًا إنْ يَكُـــنْ غَيْـــرَ وَاضِـــحٍ فَـــإِنِّي أَحِـــبُّ الجَـــوْنَ ذَا المنْكِـــبِ العَمَـــمْ

مولده: لم يعرف تاريخ ولادته غير أن التبريزي الذي اكتفى في ترجمته له بقوله: "إنه شاعرٌ مخضرمٌ أدرك الإسلام، وهو شيخٌ كبير"[4]، وإذا ما عُدنا إلى كلمة شيخ في المعاجم اللغوية فإنّ ابن سيده في المخصص يشير إلى أن الشيخ هو مَن "اسْتبانت فِيهِ السِّن فَهُوَ شَيْخ، وَقيل: هُوَ شيخ من خمسين إِلى آخر عمره، وَقيل: هُوَ من الْخمسين إِلى الثَّمَانِينَ"[5]، وعلى هذا فقد قدّر الدكتور يحيى

---

(1) ينظر: الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي، جمع وتحقيق: د.يحيى الجبوري، دار القلم، ط2، 1403هـ:8، 10، وينظر: الجاسم: أحمد موسى. شعر بني أسد في الجاهلية-دراسة فنية، دار الكنوز الأدبية، ط1، بيروت، لبنان، 1995م:131

(2) ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1971م: 418/4، 419، والأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي:11، والجاسم: أحمد موسى. شعر بني أسد في الجاهلية:131

(3) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 57

(4) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام:1/ 208

(5) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1417هـ:64/1

الجبوري محقق الديوان هذه المرحلة بسبعين عاما[1]، وهذا يعني بأن ابن شأس حين أدرك الإسلام كان عمره قرابة السبعين عامًا، وعلى الرغم من هذا التقريب فإنه لا يمكن الجزم بتحديد تاريخ ميلاده؛ لعدم توافر معلومات كافية بين أيدينا عن تفاصيل حياته نستطيعُ بها تحديد سنة الميلاد.

نشأته وحياته: نشأ الشاعر عمرو بن شأس في أسرة عريقة حسبًا ونسبًا ومكانةً؛ وذلك لما كان لأبيه من مكانة، وعلو شأنٍ بين قومه وقبيلته، فهو ينتمي إلى قبيلة أسد، وهي قبيلة عدنانية عظيمة الشأن، ذات بطون متعددة[2]، وقبيلته دودان بن أسد من أكثر البطون البارزة عددًا ومكانةً[3]. وقد عاش الشاعر في الجاهلية أكثر سنوات عمره محبًّا للخير، ومشاركًا في الحروب مع قومه وقبيلته، فكان "ممن شُهرَ بالبأس والنجدة"[4]، وقد أدرك عصر صدر الإسلام، وهو شيخ كبير، فأسلم مع قومه بني أسد[5]، وحسن إسلامه، وشهد وقعة القادسية[6]، ومع هذا فقد "كان ذا قدرٍ وشرفٍ ومنزلة في قومه"[7]، وقد أشار الدكتور يحيى الجبوري محقق الديوان إلى أنه ليس في المصادر التي تناولت شعره بالاستشهاد أو غير ذلك ما يوضّح حياة عمرو بن شأس غير نتفٍ وإشاراتٍ لا تجدي في استجلاء حياته وحياة أسرته[8].

شاعريته: أشارت المصادر إلى أنه "شاعر مقدَّم"[9]، وقد عدّه ابن سلام الجمحي في الطبقة العاشرة من فحول الشعراء، وقال عنه بأنه: "كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، أكثر أهل طبقته شعرًا"[10]، وهو شاعر مطبوعٌ[11]، فشعره يُعدُّ من "عيون الشعر العربي...في سمو معانيه، ونصاعة

---

(1) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 16

(2) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، د.ط، بيروت، 1980م:52/1

(3) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب:190، 191

(4) البُرّي، محمد بن أبي بكر بن عبد الله التِّلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، نقحها وعلق عليها: د محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، الرياض، 1403هـ: 211/1

(5) كانوا عشرة رهط وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة تبوك سنة 9هـ.

(6) يُنظر: ابن الجراح، أبو عبد الله محمد بن داود. من اسمه عمرو من الشعراء، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1991م: 17، والمرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران. معجم الشعراء: 212

(7) ينظر: الجمحي، محمد بن سلّام. طبقات فحول الشعراء: 196/1

(8) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 9

(9) ابن الجراح، أبو عبد الله محمد بن داود. من اسمه عمرو من الشعراء: 17

(10) الجمحي، محمد بن سلّام. طبقات فحول الشعراء: 196/1

(11) ينظر: البُرّي، محمد بن أبي بكر التِّلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: 211/1

لغته، وجمال أسلوبه، ونبل أغراضه، وإيجازه، وبُعده عن اللغو والحشو والفضول"[1].

وفاته: لقد أهملت المصادر القديمة ذكر تاريخ وفاته، ومولده؛ لعدم اهتمامها بالشاعر وحياته، والدكتور يحيى الجبوري محقق الديوان يفترض تقديرًا لعمر الشاعر عند وفاته، فيقول: "فإذا قدرنا عمره عند وفاته ثمانين عامًا، فتكون وفاته في حدود 30هـ، أو قبل ذلك بقليل، هذا إن لم يكن قد توفى بعد القادسية بقليل فتكون وفاته عندئذٍ حوالي سنة 20هـ، وهو التقدير الذي ذكره الزركلي"[2]، ونحن نوافق الزركلي على ما ذهب إليه في تحديد سنة الوفاة بافتراضنا أن ابن شأس قد كان مع وفد بني أسد الذين وفدوا على رسول الله سنة 9هـ، وكان عمره سبعين عاما، فإنه قد شهد القادسية عام 14هـ، وعمره خمسةٌ وسبعون عامًا، وعلى هذا فإذا كان قد مات وعمره ثمانون عاما فهذا يعني أنه مات سنة 19هـ، أو 20هـ وهذا يؤكد ما ذهب إليه الزركلي.

ثانيًا: أنواع الطبيعة الصامتة:

يقصد الباحث بالطبيعة الصامتة كل الأشياء التي ليس لها شعور من عناصر هذا الكون، التي أثّرت في نفسية الشاعر ومعجمه الشعري، فتفنّن في جَعْل مفرداتها صورًا واصفةً للواقع والمجتمع الذي يعيش فيه، وفيما يأتي توضيح ذلك:

1- الليل والنهار:

الليل والنهار هما عنصرا الزّمن الذي هو مجموعة ليالٍ، وأيام، وشهور، وسنوات وما إلى ذلك، ولذا فإن الشعراء قد اتخذوا من الليل صديقًا وأنيسًا لهم، يبثون من خلاله آهاتهم ونجواهم، فكان مصدرًا لشكوى كثير من الشعراء لكن هذا ليس على إطلاقه، حيث إن هناك بعضًا من الشعراء قد هام بالليل، ووجد فيه ضالته، وحقق منه مراده وصبوته، وقلّما نجد شاعرًا مجيدًا يغفل عن ذكر الليل أو ما يتعلق به في شعر، ومن مفردات الليل التي وظّفها الشاعر عمرو بن شأس الأسدي (الليل، الليالي، عشيّة، المغلس، ظلماء حندس، الصريم: الليل المظلم وهو من الأضداد)، وقد وظّف بعض المفردات العامة التي يكون الليل والنهار جزءًا فيها، ومن تلك المفردات: (اليوم، الزمان، الدهر، الشتاء، الخريف). وهذه المفردات كان لها دورٌ بارزٌ في بنية الخطاب الشعري، وتكوين الصور الفنية التي تكشف عن الحالة الشعورية للشاعر تجاه الواقع والمجتمع، ومن أمثلة ذلك قوله في عاذلته[3]:

---

(1) سعفان، أحمد حسين عبدالحليم، شعر عمرو بن شأس الأسدي- دراسة موضوعية فنية، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 15، 1994م: 304، 305

(2) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 16

(3) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي:41

وَعَاذِلَـــةٍ هَبَّـــتْ بِلَيْـــلٍ تَلُـــوْمَنِي فَلَمَّـا غَلَـتْ فِـي الْلَّـوْمِ قُلْـتُ لَـهَا: مَهْـلَا

ذَرِيْنِـي فَـإِنِّي لَا أَرَى المَـوْتَ تَارِكًـا بَخِـيْلًا ولا ذَا جَـوْدَةٍ مَيِّتًـا هَـزْلَا

مَتَـى مَـا أُصِـبْ دُنْيَـا فَلَسْـتُ بِكَـائِنٍ عَلَيْهَـا وَلَـوْ أَكْثَـرْتِ عَـاذِلَتِي قُفْـلَا

جاء العنصر الطبيعي (ليلٍ) ليوضح به الشاعر للمتلقي زمن الحدث الكلامي (اللّوم) الذي صدرَ من العاذلة المندهشة من تصرفاته ذاتَ ليلٍ؛ ولذا فقد اختار الفعل (هبّت) ولم يقل: (جاءت)، وهذا الاختيار له دلالته الخاصة، وهي بيان طريقة إقبالها عليه، فقد نهضت مسرعة نحوه غاضبةً وثائرة عليه غير راضية عنه؛ نتيجة ما يقوم به من إنفاق المال. وهنا نلحظ الثنائية الضدية لدلالة الليل مع ما جاورها من مفردات في السياق الشعري، فالليل هو رمزٌ للراحة والهدوء والسكون، والدخول منه إلى أجواء الأمان والطمأنينة، لكنه تحوّل إلى غير ذلك بتعالقه مع الفعل (هبّت) الذي قد يكون مصدرًا للخوف والقلق، ورمزًا للحركة السريعة، وللثورة والغضب والغلو في اللوم أيضًا، ومع هذا فقد استطاع الشاعر أن يطفيء ثورة الغضب بكلمة (مهلا)؛ ليخلق منها ومن فعل الطلب (ذريني) مساحة زمنية مكنته من ذكر الأسباب التي جعلته ينفق ماله، ومحاولة إقناع عاذلته التي لامته على ذلك.

وفي سياق خطابه الشعري عن ليلى، وعن تلك الأيام التي قضاها معها يأتي بالألفاظ الدالة على الليل، وذلك في قوله[1]:

بِـــأَنْعَمِ مِنَّـــا لَيْلَـــةً نَزَلَـــتْ بِنَـــا تُلِـــمُّ وَأُخْـــرَى لَيْلَـــةً بِـــالمُغَلّسِ

تَمَضَّـــتْ إِلَيْنَـــا لَـــمْ يَـــرِبْ عَيْنَهَـــا الْقَـــذَى لِكَثْـــرَةِ نِيْـــرَانٍ وَظَلْمَـــاءِ حِنْـــدِسِ

في هذين البيتين تتشكّل بنية الخطاب الشعري من مجموعة العناصر الطبيعية الليل وسواده، وهي: (ليلةً، ليلةً بالمغلّسِ، ظلماء حندس)، حيث جعل الليلة التي نزلت فيها معشوقته (ليلى)، والتقت به من أنْعَمِ الليالي لديه، والليلة هي علامة رامزة في السياق الشعري عن اللقاء الجميل، وعن الشعور بالراحة النفسية تجاه المعشوقة؛ لما تحتويه من هدوء وطمأنينة وسكينة. ولم يكتفِ الشاعر بذكر هذه العناصر في التعبير عن جمالية الزمن الماضي الذي قضاه مع معشوقته ليلى، فقد خلق في البيت الثاني أسلوبًا كنائيًّا للتعبير عن جمال عينيها: (لَمْ يَرِبْ عَيْنَهَا الْقَذَى)؛ ليوازي به من حيث الدلالة جمالية الوصف للّيالي التي قضاها مع معشوقته على الرغم من اتصاف تلك الليالي بكثرة النيران وبشدّة الظلمة.

(1) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 25، 26

وفي سياق الذكرى والشوق لليلى يوظف الألفاظ (لات حينا- أمسى- الدّهر) فيقول أيضًا[1]:

تَـــذَكَّرَ حُـــبَّ ليْلَـــى لَات حِيْنَـــا وأَمْســـَى الشَّـــيْبُ قَـــدْ قَطَـــعَ القَرِيْنَـــا

تَـــذَكَّرَ حُبَّهَـــا لا الـــدَّهْرُ فَـــانٍ ولا الحَاجَـــاتُ مِـــنْ لَيْلَـــى قُضِـــيْنَا

تأتي المفردات الدالة على عناصر الطبيعة بدلالاتها الزمنية (لات حينا- أمسى- الدهر)؛ لتشكّل رؤية خاصة لدى المتلقي في فَهمه للنص الشعري وفق تقنيّة سردية استدعاها الشاعر في التعبير عن ماضيه الجميل، وذكرياته مع معشوقته (ليلى)؛ وذلك باستخدامه لأسلوب الحوار مع ذاته بصيغة ضمير الغائب (هو)، فالتركيب الزمني (لاتَ حينا) يتضمّن معنى العودة والاسترجاع إلى نقطة زمنيّة ما، هي مرحلة الفتوّة والشباب التي فيها تعرَّفَ الشاعر بليلى، وحبّها، فأخذتْ لبَّه وعقله فلم يستطع أن ينساها؛ يؤكّد ذلك تكراره للفظ (تذكَّرَ) الذي يوحي بعمق المشاعر والود والمحبة وشدة الشوق. ثم إن توظيفه للتركيب الزمني (أمسى الشيب..لا الدهر فانٍ) يُعَدُّ علامة رامزة للدخول في مرحلة الشيخوخة، وللعجز والضعف، ولشعوره بانتهاء العلاقة بينه وبين ليلي؛ وذلك لعدم القدرة في مواجهة الواقع الذي وصل إليه فأُحبطَ فلم يستطع الحصول على ما كان ولا يزال يتمناه من ليلى.

وفي سياق الفخر نراه يُعدلُ عن الفخر بصيغة (الأنا) إلى الفخر بصيغة (النحن) باستعماله الضمير (نا) الدال على الجماعة، فيستدعي في خطابه الشعري لفظ (الليل)؛ لتحديد زمن استمرار المعركة، وقتال الأعداء، وامتداده إلى الليل، فيقول[2]:

أَقِمْنَـــا لَهُـــمْ فِيْهَـــا سَـــنَابِكَ خَيْلِنَـــا بِضَـــرْبٍ يَفُـــضُّ الـــدَّارِعِيْنَ مُنَكِّـــلِ

إِلـى الليْـلِ حَتَّـى مَـا تَـرَى غَيْـرِ مُسْـلَمٍ قَتِيْـلٍ وَمَجْمُـوْعِ اليَـدَيْنِ مُسَلْسَـلِ

يمهّد الشاعر في سياق فخره بقوة قومه، وبسالتهم وشدّة بأسهم في القتال، وصبرهم في ميدان المعركة بالفعل (أقمنا)؛ ليصل إلى العنصر الطبيعي (الليل) ليؤكّد للمتلقي بأنه وقومه يتمتعون بالشجاعة والثبات في ساحات الوغى حتى الليل لا يتقهقرون، فهم صامدون، أشداء في ضرب الأعداء وقتلهم والتنكيل بهم، وأَسْرهم. ولذا فقد جاء لفظ (الليل) مسبوقًا بحرف الجر (إلى) الدال على انتهاء الغاية؛ ليبيَّن زمن انتهاء المعركة، وليلفت انتباه المتلقي إلى ما يريد أن يعبّر عنه من فخرٍ وتعالٍ بقومه وقبيلته.

---

(1) المصدر نفسه: 59

(2) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 46، 47

ومثل ذلك يأتي بالعنصر الطبيعي الزمني (الليل) ليخلق منه صورة واصفة له ولقومه، إذ يقول[1]:

فَإِنَّــا لَيْــلُ مُــذْ بُــرِئَ الليَــالِي بُرِيْنَــا مِــنْ سَــرَاةِ بَنِــي أَبِيْنَــا

فَــلَا وَاَبِيْــكِ مَــا يَنْفَــكُّ مِنَّــا مِــنِ السَّــادَاتِ حَــظٌّ مَــا بَقِيْنَــا

وَنَحْــنُ إذا يُــرِيْحُ الليــلُ أمْــرًا يُهِــمُّ النَّــاسَ عِصْــمَةُ مَــنْ يَلِيْنَــا

فالشاعر هنا يأتي بلفظ (الليل) في سياق الفخر؛ ليخلق بها صورة فنيّة لقومه على مستوى الخطاب الشعري للأبيات الثلاثة، فلهم نسب عريق لا يمكن أن يجهله أحدٌ، ولهم مكانة اجتماعية ثابتة تسمو بهم، فيعرفهم القاصي والداني، ولذا فإنه يشبههم بالليل الذي يغطي كل شيء بانتشار ظلمته في كل مكان، وعليه فإن علاقة قوم الشاعر بني أسد مع الليل في هذه الصورة التشبيهية البليغة (فَإِنَّا لَيْلُ مُذْ بُرِئَ الليَالِي) تصل إلى حدّ الذروة التي تتمثّل في الاقتراب بين المشبه والمشبه به الذي يكاد يصل إلى حد التطابق على مستوى الفضاء المكاني النصّي[2].

وفي موضع آخر يأتي بلفظ (الصريم) الذي يُعدُّ من الأضداد، فيقول[3]:

وَقُمْنَــا والرِّكَــابُ مُخَيِّسَــاتٌ إلــى فُتْــلٍ مــرَافِقُهُنَّ كُــوْمُ

كَأَنَّــا والرِّحَــال عَلــى صِــوَارٍ بِرَمْــلِ جُــرَادَ أَسْــلَمَهَا الصَّــرِيْمُ

فالعنصر الزمني (الصريم) هيّمن على تكوين الصورة الشعرية في النص وحركيَّتها (كأنّا والرحال على صوار بِرَمْلِ جُرَادَ)، وكأنه قد قيّدها عن الحركة، فظلّت ثابتة في موضعها إمّا إلى الليل المظلم أو إلى الصباح الباكر من خلال تعالقه البنيوي بالفعل (أسلَمَ).

وفي قصيدة بدأها بذكر ديار ابنة السعدي يوظّف العنصر الطبيعي للبيئة الصامتة (الليل) توظيفًا ينمّ عن حالته الشعورية، فيقول[4]:

وَإِنِّــي لأَعْطِــي غَثَّهَــا وَسَــمِيْنَهَا وَأَسْــرِي إِذَا مَــا الليــلُ ذُوْ الظُّلْمَــةِ ادْلَهَــمْ

تتعالق مفردات الطبيعة بعناصرها الدالة على الزمن في الشطر الثاني من البيت (أسري- الليل- الظلمة- أدلهم)؛ لتكوّن بنيةً شعرية توحي بحالة شعورية خاصة يعيشها الشاعر، فتفرض عليه القيام ببعض الأشياء التي قد تكون نتيجة للحظة الآنية أو الموقف الآني الذي يصادفه في حياته. يؤكد ذلك

---

(1) المصدر نفسه: 61

(2) ينظر: كحيل، حنين عز الدين إسحاق. التشكيل الجمالي في شعر عمرو بن شأس الأسدي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2015م: 64

(3) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 50، 51

(4) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 55

قوله[1]:

وَقَفْتُ بها وَلَمْ أَكُنْ قَبْلُ أَرْتَجِي إِذَا الحَبْلُ مِنْ إِحْدَى حَبَايِيَ أنصَرَمْ

وفي سياق ذكراه وشوقه لمحبوبته أم مالك وتمنّيه اللحاق بها؛ لأجل أن يكون بقربها، يأتي بلفظ الليالي، وليلة، والدّهر، في قوله[2]:

ذَكَرْتُكِ بالدَّيْرَيْنِ يَوْمًا فَأَشْرَفَتْ بَنَاتُ الهَوَى حَتَّى بَلَغْنَ التَّرَاقِيَا

أَعُدُّ الليَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لا أَعُدُّ الليالِي

إِذا مَا طَوَاكِ الدَّهْرُ يا أُمَّ مالِكٍ فشَأْنُ المنَايَا القَاصِيَاتِ وشَأْنِيَا

ولَوْلا اتِّقَاءُ اللهِ والعَهْدُ قَدْ رأى مَنِيَّتَهُ مِنِّي أَبُوْكِ اللَّيَالِيَا

تتعالق دلالات الزمن الماضي المتمثلة في لفظ (ذكرتك يوما) مع دلالة الزمن الحاضر المتمثل في لفظ (أشرقتْ) مع عنصر الطبيعة المكاني (الدَّيْرَيْن) والعنصر الزمني (الليالي – الدهر) في السياق الشعري؛ ليؤكد الشاعر للمتلقي أهمية العلاقة التي كانت بينه وبين أم مالك، وما أحدثه ذلك المكان من إثارة لمشاعر الحب والهيام تجاه أم مالك -بعد غياب ذكراها في مخيلته دهرا- فظل يعُدُّ الليالي التي مرّت دون أن يراها ليلةً بعد ليلةٍ، وهذا التكرار لعناصر الزمن (الليالي- ليلة- بعد ليلة- الدهر) يفصح عن الحالة النفسية لدى الشاعر، فهو يعيش في حالة صراع مع الزمن بين نسيان محبوبته وذكراها، بين ثنائية الموت والحياة، الرحيل والبقاء، الذكرى والنسيان.

ويستخدم لفظة ليلٍ في سياق النصح والتوجيه مع استخدامه مفردة الصباح التي توحي بتفاخره بقومه؛ لما لها من دلالة على البروز والوضوح للعيان، إذ يقول[3]:

إِذَا قُلْتَ: فَاعْلَمْ مَا تَقُوْلُ، ولا تَكُنْ كَحَاطِبِ لَيْلٍ يَجْمَعُ الدِّقَ والجَزْلَا

فلَوْ طُفْتَ بَيْنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ لَمْ تَجِدْ لِقَوْمٍ على قَوْمِي ولَو كَرمُوا فَضْلا

أَعَزّ وأَمْضَى فِي الصَّباحِ فَوَارِسًا إِذَا الخَيْلُ جالَتْ في أَعِنَّتِها قُبْلا

ومن الألفاظ الدالة على النهار، فقد استخدم الشاعر في بناء خطابه الشعري لفظ النهار، والضحى أيضًا إضافة إلى لفظ الصباح، ومن أمثلة ذلك مجيء لفظ النهار في قوله[4]:

---

(1) المصدر نفسه: 55

(2) المصدر نفسه: 84

(3) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 39

(4) المصدر نفسه: 34

تَعْـــدُوْ إِذَا تَلِـــعَ النَّهَـــارُ كَمَـــا قَطَـــعَ الجَفَـــاجِفَ خَاضِـــبٌ هِقْـــلُ

فقد وظّف الشاعر لفظ النهار في البنية النصية للبيت الشعري؛ ليحدد من هذا العنصر الزمني (إذا تلع النهار) بداية انطلاقة ناقتة التي تتمتع بالقوة والقدرة على قطع الصحاري بكل حيوية ونشاط كالظليم الذي يتنقل بين المرتفعات بكل خفة ورشاقة، وعليه فقد أدّى العنصر الزمني وظيفة دلالية في السياق الشعري، ومنح الصورة الشعرية صفة الحيوية الشعرية والبروز الجمالي.

وفي سياق حديثه عن ظعائن ليث بن بكر، وهو بطنٌ من كنانه يأتي بلفظ الضحى في قوله[1]:

ظَعَـــائِنُ مِـــنْ لَيْـــثِ بـــنِ بَكْـــرٍ كَأَنَّهَـــا دُمَـى العَـيْنِ لَـمْ يُخْـزِيْنَ عمًّـا ولَا بَعْـلَا

هِجَـانٌ إِذَا اسْـتَيْقَظْنَ مِـنْ نوْمَـةِ الضُّـحَى قَعَـدْنَ فَبَاشَـرْنَ المسَـاوِيْكَ والكُحْـلا

إن استدعاء الشاعر للعنصر الزمني (الضحى)، وتعالقه مع التركيب الإضافي (نومة الضحى) فيه دلالة على مدحه لنساء ليث بن بكر، فهن منعّمات مترفات لا يَقُمْنَّ إلا في وقت متأخر من النهار، وهنَّ مخدوماتٌ لا يشغلهنّ شيءٌ سوى الاهتمام بجمالهنّ.

2- ألفاظ النور الطبيعية:

لم يكن لألفاظ النور الطبيعية حضور بارزٌ في شعر عمرو بن شاس الأسدي، ولم يذكر من تلك الألفاظ إلاّ النجوم، والكواكب، والهلال، ولمعان البرق، والضوء، والنار، ولكنه لم يوظفها في شعره بكثرة، فقد جاءت بالنزر اليسير، غير أنها أبرزت للمتلقي جانبًا مهمًا من حياة الشاعر والمجتمع. فيستدعي النجومَ أحد عناصر البيئة الطبيعية الصامتة التي تظهر ليلًا مضيئةً في السماء في سياق مخاطبته الآخر (صاحبه) عن الفراق ووصف الأطلال، إذ يقول[2]:

وَنَـــدْمَانٍ يَزِيْـــدُ الكَـــأْسَ طِيْبًـــا سَـــقَيْتُ إِذَا تَغَـــوَّرَتِ النُّجُـــوْمُ

فالنجوم عادة لها دلالة الظهور والعلو، لكن الشاعر هنا أتى بها لتتوافق مع المعنى المراد التعبير عنه، فهو يعيش حالة فراق نديمه، ولذا فقد جاء بها في سياق الغياب والاختفاء والغروب وعدم الظهور، وذلك واضحٌ من تعالقها مع الفعل (تغوَّرت) التي حددت مع أداة الشرط (إذا) بداية الزمن لشرب الخمر، وعليه فإن السياق يوحي إلى أن الشاعر لا يشرب الخمرةَ مع ندمائه إلا في الخفاء حين تغيب النجوم، أي في ليلة مظلمة شديدة الظلام، وبهذا فقد أعطى الشاعر العنصر الطبيعي (النجوم) في البيت الشعري دلالةً مغايرة على دلالته المتعارف عنها؛ ليكشف للمتلقي عن حالته النفسية

(1) المصدر نفسه: 38

(2) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 49

والشعورية التي تعتريه.

ونحو ذلك يأتي بلفظ (النجوم) في سياق الفخر بنفسه وبقومه، وبأنهم أهل كرم وجود وسخاءٍ وقت الشّدائد[1]:

المُطْعِمُـــوْنَ إِذَا النُّجُـــوْمُ خَـــوَتْ وَأَحَـــاطَ بِالْـــمُتَوَجِّدِ الـــمَحْلُ

فالنجوم هنا جاءت متسقة بنيويًّا مع الفعل (خوتْ) حيث حملت دلالة مغايرة لدلالتها المعجمية؛ لما اقتضاه السياق الشعري إلى ذلك.

ويأتي بلفظ الكوكب في بيتٍ يتيم هو[2]:

يُفَلِّقُـــنَ رَأْسَ الْكَوْكَـــبِ الْفَخْـــمِ بَعْـــدَمَا تَـــدُوْرُ رَحَى الْمَلْحَـــاءِ فِي الأَمْـــرِ ذِي الْبَـــزْلِ

وظّف الشاعر العنصر الطبيعي (الكوكب) توظيفًا يتناسب ودلالته في السياق الشعري، حيث خرج عن دلالته اللغوية المعجمية، واعطاه معنى الرئيس المقدّم، أو الرجل الشريف في قومه.

وفي سياق الفخر الجماعي بقوة قومه، وبفروسيتهم، وبشجاعتهم في مواجهة الأعداء في يوم القادسية، وبما يحدثوه في نفوس العدو، وقتلهم لرستم، يأتي بالعنصر الطبيعي (الهلال)، فيقول[3]:

وَدَاعِيَـــــةٍ بِفَـــــارِسَ قَـــــدْ تَرَكْنَـــــا تُبَكِّـــــي كُلَّمَـــــا رَأَتِ الْهِـــــلَالَ

استخدم الشاعر لفظ (الهلال) بمعناه المغاير عن معناه المعجمي، وهو "حربةٌ على صفة الهلال التي يُصطاد بها الوحش"[4]، وهذا المعنى أو الدلالة استدعاه السياق الشعري؛ لعقد مشابهة بين الحربة (الرمح) والهلال بجامع الهيئة أو الشكل. ثم إن هذه الأداة الحربية (الهلال) هي عامل تأثير على نفسية الفتاة الفارسية التي تركها جيش بني أسد ببلاد بفارس دون أن يمسّوها بشيء، مما يدفعها إلى البكاء حين تراها؛ لكونها إحدى وسائل الحرب التي قُتل بها قومها.

وفي سياق خطابه الشعري عن ليلى، وعن تلك الأيام التي قضاها معها نلحظ لفظ (نيران)، وذلك في قوله[5]:

---

(1) المصدر نفسه: 36

(2) المصدر نفسه: 76

(3) المصدر نفسه:70

(4) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1 – بيروت، 1987م، 1084/2

(5) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 26

تَمَضَّــتْ إِلَيْنَــا لَــمْ يَــرِبْ عَيْنَهَــا الْقَــذَى لِكَثْــرَةِ نِيْــرَانٍ وَظَلْمَــاءِ حِنْــدِسِ

يـأتي الشـاعر بالعنصـر الطبيعي (نيران) في تركيـب إضـافي (كثرة نيران)؛ ليبـيّن للمتلقي مكانـة محبوبته في قومها، إذ يحمل هذا التركيب كناية عن الكرم، وكثرة خدمتها للضيوف، وإيقادها النيران في ليالٍ شديدة الظلمة.

ويوظّفُ لفظة الضياء (يُضيء) في خلق صورة فنيّة حيث يقول[1]:

تَــرَى زَهْــرَ الْحَــوْذَانِ حَــوْلَ رِيَاضِــهِ يُضِــيءُ كَلَــوْنِ الْأَتْحُمِــيّ المُــوَرَّسِ

إنّ بنيـة البيـت الشـعري تتزاحم بمفـردات الطبيعـة عامـة التي شـكّل الشـاعر بهـا صـورة جماليـة امتدت على مستوى البنية الشعرية الكلية للبيت الشعري، حيث ارتكزت بنية هذه الصورة الفنية على لفظ (يضيء)؛ ليعقد الشاعر بها علاقة تشابه، ومقارنة في شدة الضياء بين زهر الْحَوْذَانِ بلونه الأصفر حَوْلَ رِيَاضِهِ، وبين نوعٍ من البرود اليمنية (الأتحمي) المصبوغة بنبات الورس الأصفر.

3- الطبيعة المائية:

لقد وظّف الشاعر عمرو بن شأس الأسدي الألفاظ الدالة على الماء في شعره، فجاءت بصور متعددة، منها: لفظة الماء بحدّ ذاتها، وماء البئر، واللجّ: وهو البحر، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدة له يخاطب فيها زوجته أم حسان[2]:

أَلَــمْ تَعْلَمِــي يَــا أُمَّ حَسَّــانَ أَنَّنِــي إِذَا عَبْــــــرَةٌ نَهْنَهْتُهَــــــا فَتَخَلَّــــــتِ

رَجَعْــتُ إِلَــى صَــدْرٍ كجَــرَّةِ حَنْــتَمٍ إِذَا قُرِعَــتْ صِــفْرًا مِــنْ المَــاءِ صَــلَّتِ

تتراءى للمتلقي منذ البيت الأول حالة الشاعر النفسية المنكسرة تجاه زوجته أم حسان التي طلقها، وذلك باستخدامه للفظ (عبرة) التي إذا ما كففها تخلّت عنه، وعقده للصورة التشبيهية في البيت الثاني (رجعت إلى صدرٍ كجرّة حنتمٍ)؛ ليزيد من عمق الانكسار النفسي، وما يعانيه من الأسى والحزن والحسرة على فراقها، وفي الوقت نفسه الشوق والحنين لها، ثم تمتد الصورة الفنية في البيت الثاني ليزيد من جمالها حين وصفها بالجملة الشرطية (إذا قُرعت صفرا من الماء صَلَّتِ) التي كان (الماء) فيها واحدًا من الدوال البنيوية التي تضفي للنص مزيدًا من الوصف، فخلو الجرّة من الماء، وإصدار صوتٍ حين القرع عليها دلالة على الخواء العاطفي الذي أصاب الشاعر، ولذا فقد جاءت لفظة الماء في موضعها الذي تطلّبه السياق الشعري فأدّت مع جاراتها دلالة خاصة انعكست على شخصية الشاعر،

(1) المصدر نفسه: 28

(2) المصدر نفسه: 65

وعلى تصويره لحالته الشعورية المضطربة القلقة نفسيًّا؛ بسبب فراقه زوجته أمّ حسان.

ويأتي لفظ (الماء) أيضًا في سياق التحسّر والندم على شبابه وقوّته اللذين ضاعا، وعلى ضياع قوة بني أسد بسبب نوائب الدهر، "فقد كانوا أهل البأس والمنعة وحماية الماء، الذين كانوا يردونه على رغم أنف القوم، كل هذه المعاني تتداعى أمام عيني الشاعر، ويجتر هذه الذكريات، وقد أصابه الكبر، وشاخت عظامه، وذهب سمعه"[1]، إذ يقول[2]:

إِذَا مَا وَرَدْنَا المَاءَ كَانَتْ حُمَاتُهُ بَنُوْ أَسَدٍ يَوْمًا على رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

لقد وظّف الشاعر العنصر الطبيعي المائي (الماء) في بنية الخطاب الشعري؛ ليعبّر به عن ما كان قومه بني أسد يتمتعون به من شجاعة، فقد كانوا هم حُماة الماء، ويردونه متى شاءوا على رغم أنف القوم. ثم إن لفظة الماء وتعالقها مع الفعل (وردنا) جاءت ملبيةً للغرض المطروق في السياق عامة وهو الفخر بقومه.

ويأتي لفظ الجدول والبئر في سياق حديثه عن منازل أم نوفل، وخلوّها من البشر، حيث يقول[3]:

مَنَازِلُ يُبْكِيْنَ الفَتَى فَكَأَنَّمَا تَسُحُّ بغَرْبَى نَاضِحٍ فَوْقَ جَدْوَلِ

يَسُحَّانِ مَاءَ البِئْرِ عَنْ ظَهْرِ شَارِفٍ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ وَقِدٍّ مُوَصَّلِ

كَمَا سَالَ صُفْوَانٌ بِمَاءِ سَحَابَةٍ عَلَتْ رَصَفًا وَاسْتَكْرَهَتْ كُلَّ مَحْفِلِ

إن استخدام الشاعر للمفردات الدالة على الطبيعة المائية (تسح- جدول-يسحان- ماء البئر- سال- ماء سحابة) قد شكّلت معمارية النص الشعري في تكوين صورة فنية فيها من الوصف ما يكشف عن الحالة النفسية لدى الشاعر والمتلقي/الرائي؛ بدلالة خلو المنازل من الساكنين، فتثير في نفسية من يراها مشاعر الحزن والآلم، فلا يستطيع أن يمسك دموعه تجاه ذلك (منازل يبكين الفتى...ألخ)، وتجاه ما أحدثته عوامل الطبيعة المائية من تغيير، وتعرية لمنازل أم نوفل محبوبة الشاعر.

وفي سياق حديثه عن الظعائن من آل ليلى يقول[4]:

وَخِلْتُ ظَعَائِنًا مِنْ آلِ لَيْلَى بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ أُصُلًا سَفِيْنَا

جَآجِئُهَا تَشُقُّ اللُّجَ عَنْهَا وَيُبْدِي مَاؤُهَا خَشَبًا دَهِيْنَا

(1) سعفان، أحمد حسين عبدالحليم، شعر عمرو بن شأس الأسدي- دراسة موضوعية فنية: 336

(2) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 80

(3) المصدر نفسه:42

(4) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 60

يَـــؤُمُّ بِهَـــا الحُـــدَاةُ مِيَـــاهَ نَخْـــلٍ وَيُبْـــــدِيْنَ المَحَـــــاجِرَ والعُيُوْنَـــــا

لقد استخدم الشاعر من الطبيعة المائية في هذه الأبيات كلمة (السفينة) وهي إحدى وسائل النقل البحرية؛ ليعقد علاقة المشابهة بينها وبين ظعائن محبوبته وسيرها في الصحراء، حيث شبه حال الظعائن بسفينة تشق البحر بجامع السرعة والظهور، ثم يوسع وصف الصورة بتوظيفه لمفردة الماء في الشطر الثاني من البيت الثاني، ويمدّها؛ ليزيد من دلالتها وقوة تأثيرها على نفسية المتلقي إلى نهاية البيت الثالث.

ومن مفردات السحاب والمزن استدعى الشاعر البعض منها، كلفظة سحابة، ونافجة، والمطر، والسبط المديم، وسجوم، والندى، والثلج، وأعطى لكلٍ منها دلالتها الخاصة وفقًا للسياق الذي وردت فيه، فضلًا عما أحدثته من تأثير في نفسية الشاعر والمتلقي معًا، ومن أمثلة ذلك توظيفه للفظة الثلج في سياق حديثه عن ديار ابنة السّعدي محبوبته هند، إذ يقول[1]:

وَإِنِّـــي لأَعْطِـــي غَثَّهَـــا وَسَـــمِيْنَهَا وَأَسْـــرِي إِذَا مَـــا الليـــلُ ذُوْ الظُّلْمَـــةِ ادْلَهَـــمْ

إِذَا الـــثَّلْجُ أَضـــحَى فِـي الـــدِّيَارِ كَأَنَّـــهُ مَنَـــاثِرُ مِلْـــحٍ فـــي السُّـــهُوْلِ وفـــي الأَكَـــمْ

لقد جاءت المفردة الدالة على الطبيعة المائية (الثلج) جزءًا أساسيًّا في بنية الجملة الشرطية (إِذَا الثَّلْجُ أَضحَى...) التي هي في الأصل متصلة ومتعالقةً دلالةً ومعنى مع الجملة الاسمية (إني لأعطي...)، إذ يتّخذ من مفردة الثلج مُتَّكَئًا أساسيًّا يبني عليه المعنى المراد الحديث عنه، وهو وصفه لديار ابنة السعدي هند، وما أصابها من جدبٍ تزامن مع شدّة البرد القارس، ثم مفاخرته بذاته، ومباهاته بشربه الخمر مع رفقائه، ثم مفاخرته بجوده، وكثرة عطاياه، وخروجه إلى تلك الديار في ليلةٍ ظلماء، والثلج مغطيًا سهولها ومرتفعاتها، وكأنه مناثر ملح، وهذه الصورة للثلج توحي للمتلقي بشعور خاص، وهو الشعور بقسوة الطبيعة تجاه الإنسان التي تمثّلت في شدّة البرد القارس التي لا يستطيع الإنسان تحملها ومقاومتها خاصةً إن كان يشعر بالجوع، وعدم امتلاكه أدوات التدفئة.

وأما المفردات الدالة على مواضع الماء وعيونها، فقد أكثر الشاعر استخدامها في بنية خطابة الشعري؛ ليصف بها مشهدًا ما، أو يستشهد على حدثٍ وقع فيها، أو غير ذلك، ومن تلك المفردات: (أكناف، ونيق: عين من ماء، ومنهل: موضع الماء، وغسان: اسم ماء واسم قبيلة، ولغلع: منزل وموضع ماء أيضا، وفرتاج: موضع، وقيل: ماء لبني أسد، وجراد: موضع ذو كثبان، وماء في ديار بني تميم، والثعلبية: ماء لبني أسد).

4- الريح:

(1) المصدر نفسه:56

يستدعي الشاعر ابن شأش الأسدي مفردةَ الرياح حين يقف على أطلال أم نوفل، ويطلب من رفيقيه الوقوف ليتعرفا معه على منازل أم نوفل، التي غيّرت ملامحها شدّة الرياح، فيقول[1]:

قِفَــا تَعْرِفَــا بــينَ الرُّحَــى فَقُرَاقِــرٍ مَنَــازِلَ قــدْ أَقْــوَيْنَ مــنْ أُمِّ نوفَــلِ

تَهَــادَتْ بِهــا هُــوْجُ الرِّيَــاحِ كَأَنَّمــا أَجَلْــنَ الــذي اسْــتُوْدِعْنَ بِمُنْخُــلِ

لقد شكّلت مفردة (الرياح) بإضافتها إلى كلمة (هوج) منهًا دلاليًا في السياق الشعري اتّكأ عليه الشاعر في وصفه منازل أم نوفل، ومحاولة التعرف عليها، وقد تعاورتها الرياح فغيّرت معالمها. فهوج الرياح فيه دلالة على الشّدة المؤدّية إلى اقتلاع المنازل، ودفنها للآثار، إذ يصبح من الصعوبة على الرائي التعرف عليها، وفضلًا عن هذا فإن مفردة (هوج الرياح) تُعَدُّ مثيرًا نفسيًّا هيّج أشجان الشاعر وشوقه لمحبوبته.

ونحو ذلك يذكر (رياح الصيف) في بداية استهلاله لقصيدة أخرى، فيقول[2]:

أَلَــمْ تَرْبَــعْ فَتُخْبِــرُكَ الرُّسُــوْمُ عَلَــى فِرْتَــاجَ والطَّلَــلُ القَــدِيْمُ

تَحَمَّــلَ أَهْلُهَــا وَجَــرَتْ عَلَيهــا رِيَــاحُ الصَّــيْفِ والسَّــبْطُ الــمُدِيْمُ

فمجيء الرياح في هذا البيت بما تحمله من وصف الشّدة والسرعة، والمصاحبة للأمطار الغزيرة أعطت للمكان دلالة التغيير والتحول؛ نتيجة رحيل أهلها القسري (تحمّل) بسبب الحرب، فضلًا عن تصوير الشاعر للحالة الشعورية التي اعترت نفسيته عند رؤيته لتلك الأطلال التي كان يسكنها قومه. ولحالة الدمار الذي خلّفته الحروب الطويلة التي خاضتها قبيلة بني أسد.

ويذكر الريح الشديدة البرودة (حرجف) في سياق الفخر بذاته، وشربه للخمر مع ندمائه، فهو يرى ذاته الكريمة في ذلك، إذ يقول[3]:

وَإِنِّــي لأَعْطِــي غَنَّهَــا وَسَــمِيْنَهَا وَأَسْــرِي إِذَا مَــا الليــلُ ذُوْ الظُّلْمَــةِ ادْلَهَــمْ

إِذَا الــثَّلْجُ أَضــحَى فِي الــدِّيَارِ كَأَنَّــهُ مَنَــاثِرُ مِلْــحٍ فــي السُّــهُوْلِ وفــي الأَكَــمْ

جِــذَارًا عَلَــى مَــا كَــانَ قَــدَّمَ وَالِــدِي إِذَا رَوَّحَــتْهُمْ حَرْجَــفٌ تَطْــرُدُ الصِّــرَمْ

حيث استخدم (حرجف) وهي الريح الشديدة الباردة التي تجعل الرعاة من شدة برودتها يعودون بالإبل إلى أعطانها؛ ليفصح للمتلقي عن مكانته بين قومه، وسيره على نهج أبيه في العطاء والجود.

---

(1) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 42

(2) المصدر نفسه: 49

(3) المصدر نفسه: 56

وفي سياق الفخر بقومه يذكر ريح الصّبا شديدة البرودة أيضًا؛ ليبين للمتلقي أن قومه أهل كرم وجود، كثيرو الإطعام للمحتاجين، وخاصة في وقت الشدّة؛ لأن ريح الصبا "لا تهب إلا في جدب"[1]، إذ يقول[2]:

مَصَـــالِيْتُ أَيْسَـــارٌ إِذَا هَبَّـــتِ الصَّـــبَا نَعِـــفٌ وَنُغْنِـــي عَـــنْ عَشِـــيْرَتِنَا الـــثِّقْلا

لقد ربط الشاعر المعنى الذي يريد إيصاله للمتلقي وهو الكرم بالصبا؛ لما بينهما من علاقة وطيدة، فقد كانت العرب تُطعم عندما تهب الرياح الباردة الشديدة، ويتفاخرون بذلك، يقول أبو إسحق القيرواني: "سُئل أعرابي عن قومه، فقال: يقتلون الفقر عن شدة القرّ، وأرواح الشتاء، وهبوب الجربياء بأسنمة الجذور، ومترعات القدور، تهشّ وجوههم عند طلب المعروف، وتعبسُ عند لمعان السيوف"[3].

ويذكر الشاعر رياح الشمال في سياق حديثه عن الظعائن إذ يقول[4]:

وأَلْـــوَتْ بِرَيْعَـــانِ الكَنِيْـــفِ وَزَعْزَعَـــتْ رُؤُوْسَ العِضَـــاهِ مِـــنْ نَـــوَافِحِ شَـــمْأَلِ

5- الطبيعة النباتية:

تعد مفردات الطبيعة النباتية بضروبها وألوانها إحدى اللبنات اللغوية التي شكّلت معمارية النص الشعري لدى الشاعر عمرو بن شأس الأسدى، وأدّت دورها الفني والجمالي في السياق الشعري فاكتسب النص دلالات وإيحاءات متنوعة، تتكشّف عنها رؤى الشاعر، ونظرته للواقع وللمجتمع من حوله، ومن تلك المفردات: (المرد، مرمس، عضرس، لون سندس، رياض، الروض، زهر الحوذان، المورس، الأرجوان، الدّوم، الإثل، الكحل، المساويك، قزرح، حب فلفل، سراء، الحمض، العضاة، حبة خردل، عود حرمل، حنظل، المسك، العشب، الزهر، الربع، أرماث، العبير، الأدم، رياض، بذي نخل، منخّل. مجدل: أصول الحطب العظام...). وهذا التنوع للمفردات في البنى الشعرية يعكس مدى ارتباط الشاعر بالطبيعة عامة، والنباتية خاصة، والشغف الكبير بمحتوياتها الخلابة التي عبّر بها عن مراده، وغذّتْ خياله بأصنافٍ شتى من الوهج الفني، فكانت مصدر إلهامٍ متجدد بتجدد مظاهرها. ومن النصوص

---

(1) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، د.ط، د.ت، 127/2

(2) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 41

(3) القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، د.ط، بيروت، د.ت، 916/4

(4) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 46

الشعرية التي وظّف الشاعر ابن شأس الأسدي فيها المفردات النباتية ما جاء خلال حواريته مع خليله، يطلب منه بصيغة الأمر (انظر) أن يتأمّل باحثًا عن أثرٍ للظعائن؛ علّه يجد أثرًا لها، فيستدعي لفظة (الدّوم- الأثل)؛ ليجعل منها صورةً رامزة للظعائن، وذلك في قوله[1]:

فَـــانْظُرْ خَلِيْلِـــي هَـــلْ تَـــرَى ظُعُنًـــا كَالـــدُّوْمِ أوَ أَشْـــبَاهِهَا الأَثْـــلُ

فقد جاءت مفردتا (الدوم، والأثل) استكمالًا لمعمارية البيت الشعري من جهة البنية اللغوية، أما من جهة الدلالة فإنه يريد أن يجعل منها صورةً واصفةً لحال الظُعُن الراحلة، وبُعدها عن الديار في صحراء واسعة حتى أنه يُخيّل للرائي بأنهنّ كأشجار الدوم أو الأثل، وفضلًا عن ذلك ففي توظيفه لشجرة الدوم بما تتمتع به من صفات الثبات والطول، وما تحمله من ثمار حمراء دلالةٌ على ما تمتاز به الظعائن الراحلات، وهن في الهوادج المزينة باللون الأحمر من عزّة وكبرياء وشموخ، وجمالٍ آسرٍ للقلوب، ومثله في موضع آخر -أيضًا- يقول[2]:

وَمِـــنْ ظُعُـــنٍ كالـــدَّوْمِ أَشْـــرَفَ فوقهـــا ظبـــاءُ السُّـــلَيِّ وَاكِنَـــاتٍ عَلـــى الخَمْـــلِ

ويخلق الشاعر ابن شأس الأسدى صورة فنيّة في سياق وصفه للنوق، ومشاهدته لهنّ، وهنّ يلتقطن بأفواههن ما يقابلهنّ في الصحراء من نبات، وذلك في قوله[3]:

لَقَطْـــنَ مـــن الصَّـــحْرَاءِ والقَـــاعِ قُرْزُحًـــا لَـــهُ قُـــبَصٌ كَأَنَّـــهُ حَـــبٌّ فُلْفُـــلِ

فالعنصر النباتي (قرزح) وهو شجيرة صغيرة جعدة لها حبٌّ أسود، ورؤية الشاعر له جعله يستدعى من الطبيعة النباتية ذاتها عنصرًا آخرًا، وهو (حب الفلفل)؛ ليعقد به علاقة مشابهة بينه وبين حب القرزح، وهو بهذا التعبير (لقطن من الصحراء والقاع قرزحًا) يريد أن يبيّن للمتلقي الصعوبات التي يواجهها في تجاوزه الصحراء هو وراحلته لبلوغ الهدف المراد الوصول إليه، وبهذا فقد أدّت مفردات الطبيعة النباتية دورًا في بنية النص الشعري، وفي إبراز جمالية الصورة ودلالاتها الفنيّة التي أثارت انتباه الذات الشاعرة والمتلقي معًا، ما يؤكد للمتلقي أثر البيئة الطبيعية في معجم الشاعر اللغوي.

6- الطبيعة الصحراوية:

لقد كان لمفردات الطبيعة الصحراوية في شعر عمرو بن شأس الأسدى نصيبٌ لا بأس به من حيث تشكيلها لبنية الخطاب الشعري، فقد أدّت دورًا بارزًا في ذلك، وشكّلت لوحات فنيّة، أبرزت رؤية

(1) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 34

(2) المصدر نفسه: 75

(3) المصدر نفسه: 44

الشاعر للطبيعة والحياة والواقع، وقدرته على الخلق والإبداع، وذلك على النحو الآتي:

الصحراء والفلاة: من الألفاظ التي وظّفها الشاعر في معمارية خطابه الشعري، وخلق بها صورًا فنيّة واصفة للصحراء في سياق حديثه عن رواحل قومه، والمفاخرة بقوتها، وقدرتها على تحمّل الصعاب في صحراء واسعة، ما يجعله "يستعظم ولوجها لمخاطرها الجسيمة التي تزيدها حلكة الليل، وانخراق الرياح رهبةً، وحرارة الصيف عامل آخر يزيد من صعوبة العيش في الصحراء، ومسافات أُخرى أُضيفت إلى مسافاتها الشاسعة"[1]، ومن تلك المفردات الوصفية للصحراء التي استدعاها الشاعر لبناء خطابه الشعري، والتعبير عن الواقع، والمجتمع، والحالة الشعورية التي تنتابه تجاه أي موقف يعتريه، مفردة خرقٍ، والسخاخ، وقيعان، وجُدد. ومن الأمثلة على ذلك قوله[2]:

وَخَـــرْقٍ كَأَهْـــدَامِ العَبَـــاءِ قَطَعْتُـــهُ بَعِيْـــدِ النِّيَـــاطِ بَـــيْنَ قُـــفٍّ وَأَرْمُـــلِ

الخَرْقُ "الأَرض الْبَعِيدَةُ، مُستوية كَانَتْ أَو غَيْرَ مُسْتَوِيَةٍ. يُقَالُ: قَطَعْنَا إِلَيْكُمْ أَرضًا خَرْقًا وخَروقًا. والخَرْقُ: الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لانْخِراق الرِّيحِ فِيهَا"[3]، ومن هذا المعنى اللغوي فقد استدعى الشاعر في سياق الفخر بذاته مفردة (خرق)؛ لما تثيره في ذهن المتلقي من دلالات المشقة والبعد، والخوف والمعاناة التي واجهها أثناء رحلته في تلك الصحراء الواسعة التي كأنّها نيطت بمفازة أخرى لا تكاد تنقطع، وتجاوزه لها، هذا فضلًا عما أثارته الصورة التشبيهية (كَأَهْدَامِ العَبَاءِ) من دلالات نفسية خاصة أفصحت عمّا يريد الشاعرُ التعبيرَ عنه، وإيصاله للمتلقي بأسلوب فني تصويري.

وفي سياق مفاخرته بقومه، وشدّتهم في الحروب، ووصفه للخيل وشدّة سرعتها، وكأنّها على عجلةٍ من أمرها، يستدعي لفظ (السِّخاخ) في قوله[4]:

نَفَيْنَـــا سُـــلَيْمًا عَـــنْ تِهَامَـــةَ بِالقَنَـــا وَبِـــالجُرْدِ يَمْعَلْـــنَ السِّـــخَاخَ بِنَـــا مَعْـــلا

فالسخاخ "الأرض الحُرَّةُ اللينة"[5]، وقد استدعاه الشاعر؛ ليثبت للمتلقي قوة الخيل، وقدرتها على اجتياز الفلاة أو الأرض اللينة الرطبة بكل بساطة، وبسرعة شديدة، حيث إنه في العادة لا يمكن تجاوز مثل هذه الفلاة إلا بصعوبة؛ نتيجةً لليونة تربتها ورطوبتها.

---

(1) العبودي، حازم فاضل محمد، شعر عمرو بن شأس الأسدي، دراسة في الأغراض الشعرية، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، العراق، السنة: 5، العدد: 10، 2014م: 340

(2) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 43

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، دار صادر،ط3، بيروت، 1414هـ، مادة: (خ ر ق) 74/10

(4) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 43

(5) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، مادة: (س خ خ) 24/3

أما الجبال والإكام والصخور: فقد اكتفى ابن شأس الأسدي بذكر لفظ الجبل بذاته، والسفح، وأحيانًا يأتي بالصفة أو اسم المكان كلفظ ذي زلق أشم، وصفوان، والجلاميد، وعرمس، والرحى، وسلمى، ورعان، وروض قراقر، والجفاجف: الأرض المرتفعة، والأرضين- رابية، والقف، وهو ما ارتفع من الأرض... فنجده يستدعي جبل سلمى -أحد جبلي طيء- في خطابه الفخري بقومه فيقول[1]:

وَجَمْعًا مثل سلمى مُكْفَهِرًّا تُشَبِّهُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا قُرُوْمَا

إن إعجاب الشاعر بعلو جبل سلمى وضخامته، هو ما جعله يستدعيه في بنيته الشعرية؛ ليعقد به علاقة مشابهة بينه وبين قومه من يتفاخر بمكانتهم الاجتماعية، وعلو شأنهم؛ وليجعل من الجبل رمزًا لسموّهم، وحلمهم، ورزانتهم في شتى الأمور والمواقف، ولما لهم من رهبةٍ في قلوب الأعداء والخصوم.

أما الوديان والسهول: فقد ذكر لفظ وادٍ بذاته، في سياق التحذير من الحيّة الرقشاء التي تعيش في المناطق الصحراوية النائية غير المؤهّلة بالسُّكان، الخالية من الكلأ والعشب، حيث يقول[2]:

لا ينبت العشبُ في وَادٍ تَكونُ بِه ولا يُجَاوِرُهَا جِنٌّ ولا بَشَرُ

فالوادي هنا دلالة عن الصحراء الخالية من السكان، ولذا فإنه يثير في نفس المتلقي نوعًا من الخوف والرهبة؛ لما فيه من أفاعي وآفاتٍ قد تؤدّي بالشخص إلى الهلاك والموت، وهو في هذا البيت يشير إلى جانب من قساوة الطبيعة الصحراوية تجاه الإنسان.

ويأتي لفظ السهول للدلالة على الاحتواء في قوله:[3]:

إِذَا الثَّلْجُ أَضحَى فِي الدِّيَارِ كَأَنَّهُ مَنَاثِرُ مِلْحٍ فِي السُّهُوْلِ وفي الأَكَمْ

لقد وظّف الشاعر لفظة (السهول)، ومعها لفظة (الأكم)؛ ليُبيّن للمتلقي مكان نزول الثلج، وطغيانه وانتشاره على مساحة شاسعة من الأرض، شملت السهول والمرتفعات التي احتوته حتى ظهر فيها، وكأنه ملحٌ أبيض متناثر.

ولم يكتفِ الشاعر بذكر لفظ الوادي، فقد لُوحظَ أنه غالبًا ما كان يذكر في سياقاته الشعرية المتنوعة اسم الوادي المتعارف عليه آنذاك، كوادي رمم، ووادي الجريب، وادي رواكس، ووادي الجو،

(1) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 53

(2) المصدر نفسه: 66

(3) المصدر نفسه:56

ووادي قراقر، وغيرها؛ ليُفصح للمتلقي موقفه من تلك الأودية، وما لها من دلالةٍ في السياق توحي بحالته الشعورية تجاه الآخر،كقوله[1]:

فقلـــــتُ لهـــــمْ: إنَّ الجَرِيْـــــبَ وَرَاكِسًـــــا بِـــهِ إبِلِـــي تَرْعَـــى المـــرَارَ رِتَـــاعُ

فالجريبُ: وادٍ عظيم يصبُ في بطن الرمة من أرض نجد. وراكس: موضعٌ في ديار بني سعد بن ثعلبه من بني أسد[2].

أما المفردات الدالة على الرمال والحصى، فقد ذكر الشاعر منها في شعره (الرمل، الهيال، مهيل، النقا، الكثيب، الحصى)، وقد كان لهذه المفردات دورها الفني والدلالي في بنية النص الشعري، وفي خلق صورٍ شعرية أوحتْ للمتلقي بعمق العلاقة بين الشاعر وبيئته الطبيعية عامة، والصحراوية خاصة. ومن أمثلة ذلك قوله[3]:

قَتلْنَـــا رُسْـــتُمًا وَبَنِيْـــهِ قَسْـــرًا تُثِيْـــرُ الخَيْـــلُ فَـــوْقَهُمُ الهِيَـــالا

إن مجيء الشاعر بلفظ (الهيالا)، وهو التراب، إيحاءٌ للمتلقي بدلالات متعددة، منها: شدة المعركة وضراوتها، وأيضًا سرعة الحركة للخيول، ثم إن إثارة التراب على جثث القادة من الأعداء خاصةً فيه دلالة على التحقير والاستهجان بهم من قِبل الشاعر الذي يريد في الوقت ذاته أن يشير إلى دلالة القوة والثبات والصمود في ساحة المعركة التي يتمتع بها قومه.

7- أماكن السكن والإقامة:

لقد اعتنى الشاعر ابن شأس الأسدي بتوظيفه للأماكن والمفردات الدالة على السكن والإقامة في بنية خطابه الشعري، وخاصةً في مقدماته الطللية، فجاءت مفردة الديار، والخدور، والحي، والقصر، وأبواب الطراف، ومُعَرَّس، والثغور، والرسوم والمنازل والأطلال، والدِّمن، والسفع، والأثافي، والرماد وغير ذلك من المفردات التي أضفى عليها شيئًا من مشاعره وأحاسيسه، فيقف أمام تلك الأماكن التي خلتْ من أهلها؛ بسبب ظروف الحرب، وشظف العيش، ويمعن النظر فيها، فيجد في تلك المنازل والديار آثارًا ورسومًا باقية قد لعبت بها الرياح الشديدة والأمطار الغزيرة، فتهيّج في نفسه ذكريات الأحبة فلا يستطيع أن يتمالك نفسه أو يحبس دموعه التي تجري بغزارة فوق وجنتيه كالماء فوق صخرٍ أملس؛

(1) المصدر نفسه: 68

(2) ينظر: الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 68

(3) المصدر نفسه: 70

شوقًا لتلك الأحبة، ولتلك الأيام الجميلة التي قضاها مع ربعه وخلانه، وهذا واضح في قوله[1]:

مَنَـــازِلُ يُبْكِـــيْنَ الفَتَـــى فَكَأَنَّمـــا تَسُـــحُّ بغَرْبَـــى نَاضِـــحٍ فَـــوْقَ جَـــدْوَلِ
يَسُـحَّانِ مَـاءَ البِئْـرِ عَـنْ ظَهْـرِ شَـارِفٍ بِـــأَمْرَاسِ كَتَّـــانٍ وَقِـــدٍّ مُوَصَّـــلِ
كَمـــا سَـــالَ صُـــفْوَانٌ بِمَـــاءِ سَـــحَابَةٍ عَلَـــتْ رَصَـــفًا وَاسْـــتَكْرَهَتْ كُـــلَّ مَحْفِـــلِ

ولم يكتفِ بذكره لأماكن السكن الخاصة بالإنسان، بل وجدناه يأتي بكلمات دالة على أماكن السكن الخاصة بعالم الطيور والحيوانات ككلمة أفاحيصه للدلالة على مجاثيم القطا أو سكنها، وذلك في سياق وصفه للرحلة، وناقته الشديدة القادرة على تجاوز الفيافي والقفار الواسعة المتشعبة الأطراف، حيث يقول[2]:

وَخَـــرْقٍ كَأَهْـــدَامِ العَبَـــاءِ قَطَعْتُـــهُ بَعِيْـــدِ النِّيَـــاطِ بَـــيْنَ قُـــفٍّ وَأَرْمُـــلِ
بِنَاجِيَـــةٍ وَجْنَـــاءَ تَسْـــتَلِبُ القَطَـــا أَفَاحِيْصُـــهُ زَجْـــرِي إِذَا الْتَفَتَـــتْ حَلِـــي

ومثلها كلمة: الكنيف التي هي حظيرة من الشجر، تكون خاصة بالإبل لتجد فيها الراحة والدفء[3].

8- أدوات يستخدمها الإنسان في حياته:

تتعدد الأشياء والأدوات الطبيعية التي يستعملها الإنسان في حياته اليومية، فقد اعتنى العرب الموسرون منذ القدم بأدوات الأكل والشرب واللباس، وأدوات الصيد والحرب، فأكلوا في أواني الفضة والذهب، ولبسوا أجود الملابس المصنوعة من الكتان والقطن والديباج والخز الموشاة بالذهب، البيض منها والمصبوغة والملونة، والمزينة بضروب الوشي[4]؛ ونظرًا لهذا، فقد ذكر ذلك الشعراء في نصوصهم الشعرية التي تُعَدُّ "وثيقة تاريخية وأدبية وحضارية ولغوية"[5]، وتباهوا بذلك من خلال الوصف الفني الدقيق، ولما لذلك -أيضًا- من دلالة معنوية في نفوسهم. ولم يخلُ شعر عمرو بن شأس الأسدي من تلك المفردات أو الألفاظ التي هي مسميات لأشياء يستخدمها الإنسان في حياته اليومية، في مأكله وملبسه، وفي خروجه للصيد وللحرب، سواء أكان استدعاؤها عن قصدٍ أم جاء عرضًا تطلّبه

(1) المصدر نفسه:42
(2) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 43
(3) ينظر: المصدر نفسه: 46
(4) الجبوري، يحيى، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، د.ط، بيروت-لبنان، 1989م: 22
(5) المصدر نفسه: 22

السياق الشعري. ومن تلك المفردات الدالة على المأكل والمشرب: (الإبريق، الزجاج، الكأس، الإناء، كُؤوس، القدح، الجفان، الجرّة، المتاع، السمن، الخمر، والملامة، والبرطيل)، إذ نلحظ ذكر ذلك في وصفه لمجلسه الخمري حيث يقول[1]:

وَنَـــدْمَانٍ يَزِيْـــدُ الكَـــأْسَ طِيْبًـــا ... سَـــقَيْتُ إِذَا تَغَـــوَّرَتِ النُّجُـــوْمُ

رَفَعْـــتُ بِرَأْسِـــهِ فَكَشَـــفْتُ عَنْـــهُ ... بِمُعْرَقَـــةٍ مَلَامَـــةَ مَـــنْ يَلُـــوْمُ

ولمّـــا أَنْ تَنَبَّـــه قَـــامَ خِـــرْقٌ ... مِـــن الفِتْيَـــانِ مُخْتَلَـــقٌ هَضُـــوْمُ

إِلـــى وجْنـــاءَ نَاجِيَـــةٍ فَكَأْسَـــتْ ... وَهَـــى العُرْقُـــوْبُ مِنْهَـــا والصَّـــمِيْمُ

فَأَشْـــبَعَ شَـــرْبَهُ وَجَـــرَى عَلَـــيْهِم ... بِـــــإِبْرِيْقَيْنِ كَأْسَـــــهُمَا رَذُوْمُ

تَرَاْهَـــا فـــي الإِنَـــاءِ لَهَـــا حُمَيَّـــا ... كُمَيْتًـــا مِثْـــلَ مَـــا فَقَـــعَ الأَدِيْـــمُ

لقد كان لمفردات (الكأس- ومعرّقة- ملامة- إبريقين- كأسهما- رذوم- الإناء-الأديم)، دورٌ في تشكيل البنية الشعرية، وإضفاء دلالات خاصة في نفس المتلقي تجاه الشاعر ومَنْ ينادمهم في مجلسه الخمري، إذ نستشف في هذه المفردات اللون والشّكل والحركة للخمرة وشاربها، وما تتمتع به من جودة، ومن شدّة إسكارٍ، فهي (معرقة)، ولها (حميّا كميتًا). ثم أنه لا يكون الكأس بما يحتويه من خمرةٍ طيّبا لدى الشاعر إلّا إذا كان مع النديم الذي يمنحه الاستمرار الوجودي، وبذلك فإننا أمام لوحة فنية مكتملة عكست الواقع والزمان والمكان، وأفصحت عن الحالة الشعورية التي يحسّ بها الشاعر مع ندمائه، ومكانته الاجتماعية بينهم.

ومن المفردات الدالة على اللباس والزينة، نلحظ استخدامه للألفاظ: (الطوق، والصوف، والنعل، والأنساع، والمرآة، والثياب، والقطيفة، والبرود بأضربه: كالأتحمي والعصب. والسربال، والوشاح، والديباج، والخز، والحرير، والسحل، والمروط، وعرق السام: الذهب، والعصم: القلائد، والجلود، والأدم: الجلد المدبوغ، والوضين) وقد كان لها الأثر الواضح في تشكيل الخطاب الشعري لدى الشاعر، وإعطاء النص المزيد من القيم الدلالية والإيحائية التي تعكس الحالة الشعورية لدى الشاعر، وعلاقته مع الآخر.

ومن الأدوات التي يستخدمها في حياته وتعامله مع الحيوانات الأليفة التي يُستأنسُ بها: (السنابك، والحبل، والبريم: الحبل المفتول يكون فيه لونان، والقدّ: سير يقد من جلد غير مدبوغ، والجلجل، والشكيم والشكائم، والجران)، وبهذه الألفاظ المصنوعة من الطبيعة الصامته التي يستخدمها

(1) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 49، 50

الإنسان للحيوان كالشكيم الخاص برباط الخيل ولجامه، وكالجلجل وهو جرسٌ يعلق على أعناق الدواب، والحبل لربط الحيوان- تتعاضد مفردات الطبيعة الصامتة والحيّة في بيان الحالة الشعورية للشاعر التي أحيانًا تسيطر عليها عاطفة الحنين والشوق لمحبوبته التي رحلت عن ديارها الأصلية بني أسد؛ بسبب ظروف الحرب، وأصبحت في مكان بعيد يصعب على الشاعر اللقاء بها.

أما أدوات الحرب، فقد وظّف الشاعر ابن شأس في شعره الألفاظ التي يصور بها شجاعته، وشجاعة قومه وبسالتهم بما يملكون من أسلحة لها دور بالغ في تحقيق الانتصارات في الحروب والمنازعات، ومن تلك الألفاظ خاصةً ما يتعلق بالسلاح، وأسمائه، وصفاته، وأنواعه، واستعمالاته: لفظ السلاح ذاته، والكمي والدرع، والقَنا، والرماح، والسمر الشداد، والقسي، والسنان، والسيوف، والسيف، ورقيق الشفرتين، ورقيق الحد، والمهند، والنصل، والغمد، والنجاد، حيث استقى الشاعر هذه الألفاظ من واقعه البيئي الذي يعيش فيه، وواقعه الحربي والنفسي معًا، ففي معرض حديثه عن الراحلة ناقته، نراه يستدعي مفردة السيف؛ ليبرز بها صفات الناقة، يقول[1]:

فَـــاقْطَعْ بِلادَهـــمُ بِنَاجِيَـــةٍ كَالسَّـــيْفِ زَايَـــلَ غِمْـــدَهُ النَّصْـــلُ

وظّف الشاعر مفردات (السيف- الغمد- النصل) في البنية الشعرية في معرض الفخر بذاته؛ ليشكِّل بها صورة فنية رامزة للناقة لما تتصف به من قوة وسرعة في قطعها البلاد والفيافي كالسيف سريع الإمضاء حين يُسَلّ من غمده. وقد جاء الشاعر بهذه المفردات ليستكمل بها معمارية البيت، ويصل بها إلى قافيته أولًا، وليُكمل للمتلقي المعنى المراد التعبير عنه ثانيًا، ولذا فالشاعر أراد أن تكون المفردة الحربية (السيف) معادلًا موضوعيًّا للتحدي والصمود الذي تتمتع به الناقة؛ لما للسيف في نفس الشاعر خاصة والعربي عامة من أهمية ومكانة عالية.

ونجده في معرض الفخر الجماعي يستدعي لفظ الرماح، والسيوف، ورقيق الشفرتين والمهند من خلال سرده الوصفي للمعركة التي خاضها قومه بكل قوة وبسالة أمام خصومهم من قبيلة كِندة، إذ يقول[2]:

وَمِـــنْ حُجُـــرٍ قَـــدْ أَمْكنَـــتْكُمْ رِمَاحُنَـــا وَقَـــدْ سَـــارَ حَـــوْلًا فِـــي مَعَـــدٍّ وَأَوْضَـــعَا

وَكَـــائِنْ رَدَدْنَـــا عَـــنْكُمُ مِـــنْ مُتَـــوَّجٍ يَجِـــيءُ أَمَـــامَ الأَلْـــفِ يَـــرْدِي مقَنَّعَـــا

ضَـــرَبْنَا يَدَيْـــهِ بِالسُّـــيُوْفِ وَرَأْسَـــهُ غَـــدَاةَ الـــوَغَى فـــي النَّقْـــعِ حتَّـــى تَكَنَّعَـــا

بِكُـــلِّ رَقِيْـــقِ الشَّـــفْرَتَيْنِ مُهَنَّـــدٍ حَمِيْـــدٍ إِذا مَـــا مَـــاطِرُ المَـــوْتِ أَقْلَعَـــا

(1) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 34

(2)الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي: 32، 33

لقد استعمل الشاعر مفردات الحرب (الرماح والسيف) مع ما وُصفت به من صفات (رقيق الشفرتين- مهند- حميد)؛ ليزيد من تكثيف الدلالة في الخطاب الشعري؛ وليفصح عن عاطفته الجياشة بالفخر والحماسة الدالة على القوة والشجاعة؛ ولما للسيف من أهمية عند العربي آنذاك، إذ يُعَدُّ أهم أدوات القتال عنده، وعنوان الفروسية والشجاعة والإقدام لديه. هذا فضلًا عن مجيئه في بناء صورة حربية أراد الشاعر أن يبرزها بكل تفاصيلها؛ ليؤكد للمتلقي مكانة قومه، وشدّة بأسهم، وشجاعتهم في ساحات الوغى.

الخاتمة:

توصّل البحث إلى أن الشاعر عمرو بن شأس الأسدى كان ذا صلةٍ وثيقة بالبيئة التي عاش فيها، واستقى منها معجمه الشعري فاحتلت المفردات الطبيعية الصامتة دورًا بنيويًّا في النص الشعري، فكانت ذات فاعلية عالية في الوصول بالنص إلى أقصى طاقات التعبير؛ وذلك بتعدد دلالاتها وفقًا للسياق الذي وردت فيه، كما أظهر البحث أيضًا مقدرة الشاعر على توظيفه مفردات الطبيعة الصامته في سياقاته الشعرية المتعددة الأغراض، ورسمه بها صورًا فنية واصفة لكل ما كانت تقع عليه عيناه في حياته أو أحس به، فعقد علاقة مشابهة بين تلك المفردات الطبيعية وبين ما يريد البوح به للمتلقي؛ ليزداد المتلقي خبرةً عن واقع الشاعر وبيئته الطبيعية، ويثير في نفسيته الإحساس بجمال الوصف، وروعة الموصوف.

المصادر والمراجع:

1) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، د.ط، بيروت، 1980م.
2) ابن الجراح، أبو عبد الله محمد بن داود. من اسمه عمرو من الشعراء. تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1991م.
3) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ.
4) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1971م.
5) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1 – بيروت، 1987م.
6) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1417هـ.
7) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، 1415هـ.
8) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ.
9) الأسدي، عمرو بن شأس. شعر عمرو بن شأس الأسدي، جمع وتحقيق: د.يحيى الجبوري، دار القلم، ط2، 1403هـ.
10) البُرِّي، محمد بن أبي بكر بن عبد الله التِّلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، نقحها وعلق عليها: د محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، الرياض، 1403هـ.
11) البغدادي، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع. معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، المدينة المنورة، 1418هـ.
12) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1417هـ.

13) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2000م.
14) الجاسم: أحمد موسى. شعر بني أسد في الجاهلية-دراسة فنية، دار الكنوز الأدبية، ط1، بيروت، لبنان، 1995م.
15) الجبوري، يحيى، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، د.ط، بيروت-لبنان، 1989م.
16) الجمحي: محمد بن سلّام. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المدني،د.ط، جدة، د.ت.
17) درابسة، محمود محمد. أثر البيئة الطبيعية في الشعر عند النقاد العرب القدماء، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السنة الثامنة، العدد: العاشر، 1415هـ.
18) سعفان، أحمد حسين عبدالحليم، شعر عمرو بن شأس الأسدي- دراسة موضوعية فنية، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 15، 1994م.
19) العبودي، حازم فاضل محمد، شعر عمرو بن شأس الأسدي، دراسة في الأغراض الشعرية. مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، العراق، السنة: 5، العدد: 10، 2014م.
20) القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: الحبيب ابن الخوجة، د.ن، د.ط، تونس، 1966م.
21) القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، د.ط، بيروت، د.ت.
22) كحيل، حنين عز الدين إسحاق. التشكيل الجمالي في شعر عمرو بن شأس الأسدي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2015م.
23) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران. معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1402هـ.
24) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، د.ط، د.ت.